لغة العرب

مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية

﴿ في اول نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٠ ﴾

الفتوة والفتيان قديما

La Futûwwa ou La Chevalerie arabe.

الكشف والكشافة حديثاً

الفتوة مذهب حيوي ديني سلك بعد ظهور الاسلام لتهذيب الاخلاق ونعش النفوس وبث العبقرية وتوكيد المؤاخاة بين الناس والدعوة الى الفضائل والشجاعة والتجافي عن الرذائل والجبن ، فالفتوة عند الفتيان هي استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة والجراءة والاقدام ولاسيما السخاء والكرم .

مبعث الفتوة

ان الفتيان ينسبون طريقتهم هذه الى الامام علي عليه السلام على ما سنذكره من الحوادث فهو قدوتهم وفيه اسوتهم ويؤمنون بانه أول الفتيان وأقدمهم لورود « لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار » في فتوته المقدسة وشجاعته الفذة . وقد قال الشريف الجرجاني في كتاب «التعريفات» الفتوة في اللغـة : السخاء والكرم ، وفي اصطلاح اهل الحقيقة : هي ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة » وباستمرار الازمان على الفتوة صارت رتبة تقام لها الاقامات والحفلات ولها شعار ولباس خاصان بها فاشبهت الرتب السلطانية التي يوصل

اليها الخليفة أو من ينوب عنه ونقل جرجي زيدان في « ٥ : ١٥٣ » من تاريخ التمدن الاسلامي أن الناصر لدين الله العباسي كتب سنة ٦٠٧ هـ الى ملوك الاطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا له كأس الفتوة ويلبسوا سراويلها وأن ينتسبوا اليه في رمي البندق ويجعلوه قدوة لهم ،

التفتي وشعار الفتوة

يقال : فتى فلان فلانا تفتية أي جعله فتى من الفتيان ، فتفتى هو اي صار فتى ، أما شعار الفتوة فقد كان « سراويل » تسمى سراويل الفتوة وينقش صورة كأس أو سراويل أو صورة كلتيهما فيتخذ الفتى هذه الصورة رمزا الى انه من الفتيان ، واذا رغب امرؤ في التفتي فتقام له إقامة يشهدها الفتيان فيلبس سراويل الفتوة ويشرب كأس الفتوة ، وفي ص ٨٠ من نسختنا الخطية لتاريخ « الحوادث الجامعة » في حوادث بغداد وما جاورها ما نصه « وفيها — اي سنة ٦٤٦ الهجرية — توفي جلال الدين عبدالله بن المختار العلوي الكوفي ، كان عريق النسب كبير القدر أديبا فصيحا ، حفظ القرآن في نيف وخمسين يوما ... وكان يحضر عند الخليفة الناصر في رمي البندق والفتوة ولعب الحمام ، وكان يفتى فيه ويرجع الى قوله ، ولم يزل على ذلك الى ايام الخليفة المستنصر بالله فاشار عليه أن يلبس سراويل الفتوة من أمير المؤمنين علي عليه السلام وأفتى بجواز ذلك فتوجه الخليفة الى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف ، وكان هو النقيب في ذلك » اهـ فالتفتية اذن كانت من حق العلويين ولها عظمة وابهة يتشرف بها الخلفاء فكيف السوقة ؟ وفي ص ٢٣٦ من تاريخ الفخري كلام في الناصر لدين الله منه : « وسمع الحديث النبوي صلوات الله على صاحبه وأسمعه ، ولبس لباس الفتوة وألبسه وتفتى له خلق كثير من شرق الارض وغربها ورمى بالبندق ورمى له ناس كثير » فالناصر لدين الله كان رئيس الفتيان في زمانه وكان الرماة يرمون باسمه والظاهر لنا من هذا انهم يذكرون اسمه حين الرمي (١) .

١) ومن آثار هذا الذكر في العراق ان اللاهين بالملاهي اذا رموا اللهاة على الملهى يقولون (من عين فلان) او (على عيون فلان) اي باسم فلان وحظه وقدرته ، ويقول المساكير عند التعاطي (من عيونك) لنديمهم .

تطورات الفتوة

حكم التطور جار على كل امور الدنيا ولذلك تطورت الفتوة اطوارا شتى فدخل فيها الغناء ورمي البندق وتطيير الحمام للمسابقة وقد دعا ذلك الى تسطير كتب في انساب الحمام كما ألفوا قبلا كتبا في انساب الخيل ومن براهين ذلك ان عبدالله بن المختار العلوي عين كاتب شرائج الحمام ولم يزل على ذلك الى ايام المستعصم بالله وقد ضبط انسابها في الدساتير (١) .

وفي سنة ٦٢٦ هـ نفذ « فخر الدين ابو طالب احمد بن الدامغاني » والشيخ « أبو البركات عبدالرحمن » والامير « فلك الدين محمد بن سنقر الطويل » إلى « جلال الدين منكوبري بن خوارزمشاه » وهو يومئذ على مدينة « خلاط » محاصرا لها ومع هؤلاء تشريفات وكراع ولباس الفتوة ، وقد وكل الخليفة المستنصر « فخر الدين بن الدامغاني » والشيخ أبا البركات في تفتيته ، وكان هؤلاء الثلاثة المرسلون صادفوه خارج مدينة « خلاط » للحصار فخلعوا عليه ما أرسل به الخليفة اليه والبسوه سراويل الفتوة (٢) .

وفي سنة ٦٣٤ حضر « عبدالله الشرمساحي مدرس المالكية بالمدرسة المستنصرية « بالبدرية » عند شرف الدين إقبال الشرابي وأنعم عليه بلباس الفتوة نيابة عن الخليفة » (٣) ذكرنا هذه الحوادث ليتحقق القارئ أهمية الفتوة وتنفيذها .

الفتوة في زمن الامويين

روى ابو الفرج الاصفهاني في ص ٢٤٥ ج ٢ من الاغاني في أخبار « حنين الحيري » المغني ما نصه : « كان حنين غلاما يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفا في عمل التحيات فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت — الفتيان — ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه » فهذا الخبر يدل على ان الفتيان في ذلك العهد قد عكفوا على التنعم واستهوتهم الملاهي وتمكنوا من الدوز وقد وصف لنا عيشتهم بما رواه في ص ٢٤٦ عن حنين نفسه . قال حنين « خرجت الى حمص

١) تاريخ الحوادث الجامعة المخطوط ص ٨٠ من نسختنا لحوادث سنة ٦٤٦ الهجرية .
٢) حوادث سنة ٦٢٦ من الحوادث الجامعة .
٣) حوادث سنة ٦٣٤ من الحوادث الجامعة .

التمس الكسب بها وارتاد من استفيد منه شيئا فسألت عن الفتيان بها وأين يجتمعون فقيل لي : عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا أصبحوا ، فجئت الى احدها فدخلته فاذا فيه جماعة منهم ، فأنست وانبسطت وأخبرتهم أني غريب ثم خرجوا وخرجت معهم فذهبوا الى منزل أحدهم فلما قعدنا أتينا بالطعام فأكلنا وأتينا بالشراب فشربنا فقلت لهم : هل لكم في مغن يغنيكم ؟ قالوا : ومن لنا بذلك ؟ قلت : انا لكم به هاتوا عودا فأتيت به فابتدأت في هنيات أبي عباد معبد فكأنما غنيت للحيطان لا فكهوا لغنائي ولا سروا به » اه وليس لهؤلاء الفتيان مزية سوى اضافة الضيفان واعانة اللهفان ، اذ ليس في هذه الاخبار ما يدل على التأله .

الاخية فرقة من الفتيان

ذكر ابن بطوطة في رحلته جماعات « الاخية » وواحدهم « أخي » مضافا الى ياء المتكلم ورئيسهم « أخي » أيضا وأنهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ووصفهم بانهم لا يوجد في الدنيا مثلهم فهم اشد احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والاخذ على ايدي الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من اهل الشر ورئيسهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمتجردين ويقدمونه على انفسهم ويبني الرئيس زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج وما يحتاج اليه من الآلات أما اتباعه فيسعون في النهار في طلب معايشهم ويأتون اليه بعد العصر بما اكتسبوه فيشترون به الفواكه والطعام الى غير ذلك مما ينفق في الزاوية فان ورد في ذلك اليوم مسافر أنزلوه عندهم ولا يزال عندهم حتى ينصرف وان لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا الى صناعاتهم في الغدو واتوا بعد العصر الى مقدمهم بما تيسر لهم ويسمون بالفتيان ويسمى مقدمهم الاخي (١) ووصفهم بأن لباسهم الاقبية وفي أرجلهم الاخفاف وكل واحد منهم متحزم على سكين طوله ذراعان وعلى رؤوسهم قلانس بيض من الصوف باعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبعين ، هذه خلاصة ما ذكره ابن

١) تخصيصه الاخي بالرئيس بعد تعميمه واطلاقه على كل فتى اورثنا الالتباس .

بطوطة في كلامه على مدينة « أنطالية » .

وقال في مدينة قونية « نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلمشاه وهو من الفتيان وزاويته من اعظم الزوايا له طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة » اه كلامه بنصه ، وهذا الخبر يؤيد ماقلناه من ان الفتيان ينتسبون الى علي عليه السلام .

الفتوة المذهبية

قال ابن جبير الكناني في ص ٢٦٠ من رحلته مطبعة السعادة « وسلط الله على هذه الرافضة طائفة تعرف بالنبوية سنيون يدينون - بالفتوة - وبامور الرجولة كلها وكل من الحقوه بهم لخصلة يرونها فيه منها يحرمونه السراويل فيلحقونه بهم ولا يرون ان يستعدي احد منهم في نازلة تنزل به ، لهم في ذلك مذاهب عجيبة واذا اقسم احدهم بالفتوة بر قسمه وهم يقتلون هؤلاء الروافض اينما وجدوهم وشأنهم عجيب في الانفة والائتلاف» اه من كلامه على مدينة دمشق وهو يدل على ان الفتوة في تلك الربوع كانت تعصبية بحتة ولا خلاص من التعصب فانه مبادة كثير من الارواح والدين مع النفس والحق مع العقل ولا يغلب عقل امرئ نفسه إلا بتوفيق من الله عظيم .

الرمي في الفتوة

كان غالب رمي الفتيان لاظهار الحذق والمهارة وقد كان صبيان المدينة المنورة في زمن الامويين يتدربون على رمي السهام عن القسي للتمرن واللعب واستفاض ذلك بين الناس حتى كان بعض الخلفاء الامويين يقضي هو ووليجته الاوقات في الرمي الى هدف معلق في الهواء تسلية للنفس وتمرنا على هذا الفرع من فروع الشجاعة فقد روى مؤلف كتاب « صحيفة الابرار » ص ٣٦١ من الجزء الاول عن دلائل الطبري ان هشام بن عبدالملك امر باشخاص محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق (ع) الى دمشق فاشخصا ودخلا عليه قصره وهو قاعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوف على ارجلهم متسلحين وقد نصب البرجاس حذاءه واشياخ قومه يرمون فقال هشام لمحمد الباقر (ع) يا محمد ارم مع اشياخ قومك

الغرض ، يريد ان يظهر عجزه ويضحك منه فاستعفى الامام من ذلك فلم يعفه فتناول عند ذلك قوس شيخ من الاشياخ ثم تناول سهما فوضعه في كبد القوس ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصب السهم فيه ثم رمى فيه ثانية فشق فواق سهمه الى نصله ثم تابع الرمي حتى شق تسعة اسهم بعضها في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك ان قال : اجدت يااباجعفر وانت ارمى العرب والعجم هلا زعمت انك كبرت عن الرمي ؟ ثم قال : يامحمد لايزال العرب والعجم يسودها قريش ما دام فيها مثلك لله درك من علمك هذا الرمي وفي كم تعلمته ؟ فقال له الامام : قد علمت ان اهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته ايام حداثتي ثم تركته فلما اراد امير المؤمنين مني ذلك عدت فيه ، فهذا دليلنا على ما ذكرناه من ان الرمي كان يتعاطاه الشبان ضربا من الشجاعة واللهو ولاقبال الناس على هذا الضرب من اللهو تنوع الرمي ففي ص ٢٥٦ من شرح الطرة قول الحريري : «ويقولون للقناة الجوفاء التي يرمى عنها بالبندق : زربطانة والصواب : سبطانة» قال الشارح « واستعمال زربطانة واقع في كلام المولدين كقول ابن الحجاج :

به ترمي لحي متعشقيها كما يرمي الفتى بالزربطانه »

وفي مادة (ح س ب) من المصباح المنير ماعبارته : « وقال الازهري : الحسبان مرام صغار لها نصال دقاق يرمى بجماعة منها في جوف قصبة فاذا نزع في القصبة خرجت الحسبان كأنها قطعة مطر فتفرقت فلا تمر بشيء إلا عقرته » وقال في ب د ق « والبندق ايضا ما يعمل من الطين ويرمى به الواحدة بندقة» وقال في ج ل هـ « والجلاهق بضم الجيم : البندق المعمول من الطين الواحدة جلاهقة وهو فارسي لان الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية ويضاف القوس اليه للتخصيص فيقال : قوس الجلاهق » وكان الرماة يتخذون البندق من الحجارة والرصاص ايضا . ونقل جرجي زيدان في ٥ : ١٥٣ من تاريخ التمدن الاسلامي عن ٣ : ٩٠ من تاريخ ابن الاثير ان العرب اقتبست لعبة الرمي بالبندق في اواخر ايام عثمان بن عفان (رض) ونقل عن الاغاني ٢٠ : ٩٣ ان رماة البندق في العصر العباسي طائفة كبيرة يخرجون الى ضواحي المدن يتسابقون في رميه على الطير ونحوه ، وقال في ص ١٥٤ « ومن قبيل رمي البندق رمي النشاب في

البرجاس وهو غرض في الهواء او على رأس رمح او نحوه يطلبون اصابته بالنشاب وهي لعبة فارسية اول من لعبها من الخلفاء الرشيد » قلنا : وهذا وهم منه فقد قرأت في ما نقلنا اليك ان وليجة هشام بن عبدالملك كانت تتعاطى هذه اللعبة في مجلسه معه وروى مؤلف الحوادث الجامعة ان احد امراء الدولة الايوبية كان يرمي الحمام في بيت الله الحرام بالبندق عدوانا على حرمته ، ونرى انه قد نقض بفعله المثل المشهور « آمن من حمام مكة » وورد في ص ١٧ من كتاب مناقب بغداد ان الوزير « عميد الدولة ابا منصور » خط السور على الحريم من بغداد سنة ثمان وثمانين واربعمائة وشرع الفعلة في بنائه واذن للناس في الفرجة فعمل اهل سوق المدرسة قلعة خشب تسير على عجل وفيها الغلمان يضربون بقسي البندق والنشاب .

الفتوة وصيد السباع

في سنة ٦٤٠ الهجرية سأل جماعة من شبان محال بغداد ان يؤذن لهم في الخروج الى قتل السباع فاذن لهم جريا على القاعدة القديمة في ايام الخليفة الناصر لدين الله وانعم عليهم بشيء من البر فاجتمع من كل محلة جوق وخرجوا مشتقين بغداد وبين يدي كل جوق اللعابة (١) بالدفوف والزمور والمغاني وسائر الملاهي (٢) . وكان هؤلاء الشبان كثيرا ما يتواثبون بعضهم على بعض على حسب المحال فيحدثون في بغداد فتنة كبيرة يكون القتل فيها من اسهل الامور وان هذه الافعال مضادة للفتوة على الحقيقة والغالب في طرق الاصلاح ان تترامى الناس بها الى الفساد ، ومثل هذا الانقلاب انقلبت الفروسية التي نشأت في اوربة في القرون الوسط فانها بنيت على حماية المظلوم والنساء ودفع الشر على غرار الفتوة في الاسلام لكن الاوربيين لم يحافظوا على قواعدها فنشأ منها ما خالف قواعدها .

الاقامات لصيد الرماة

في سنة ٦٣٤ وصل الى بغداد « بشر » خادم الامير « ركن الدين اسماعيل»

١) اللعابة واللعابون طائفة قديمة الاسم تتخذ المجون والهزل والرقص حرفة لها ، ففي ٢ : ١١٧ من الشرح الحديدي « وقال عكرمة : ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فدعوت اللعابين — فلعبوا فأعطاهم اربعة دراهم » اه . واللعابة المذكورون في المتن من صميم الفتيان لا طائفة خاصة مستقلة

٢) ص ٥٦ من نسختنا للحوادث الجامعة .

ابن « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل ونفران من رماة البندق ومعهم طائر قد صرعه « ركن الدين » وانتسب (١) في ذلك الى « شرف الدين اقبال الشرابي » فقبله وامر بتعليقه فعلق تجاه « باب البدرية » وامر ان ينثر عليه الفا دينار ثم خلع على الخادم بشر والواصلين في صحبته واعطاهم ثلاثة آلاف دينار . وفي سنة ٦٣٥ علق « بباب البدرية » ايضا طائر قيل انه رماه « كيخسرو بن كيقباذ» ملك البلاد الرومية ونثر عليه الف دينار وتولى هذه الاقامة اي الحفلة « عبد الله ابن المختار» العلوي الكوفي المار ذكره وكان مولد عبدالله سنة سبع وسبعين وخمسمائة . وهاتان الاقامتان من مرويات الحوادث الجامعة ، إلّا ان اسم « عبدالله بن المختار » ورد خلوا من « العلوي الكوفي » واغرب ماننقله ان الرمي اثر في الشعر زمن العباسيين فاستعمل في الشعر الفاظ رماة البندق والتشبيه بالطيور المصروعة ، وقد روي في حوادث سنة ٦٢٩ من الحوادث الجامعة قصيدة على ذلك الغرار .

الفتيان والكشافة

يستنبط مما سبق ان الفتوة قديما تماثل الكشف حديثا وان الفتيان في الاسلام يضاهون الكشافة اليوم في الممالك المتمدنة والمتمادنة ، ويستحسن استبدال الفتوة والفتيان بالكشف والكشافة وكأن الداعي الى هاتين الاخيرتين « السر بادن باول » رئيس الكشافة الاعظم وهو رجل حديث العهد فالكشف والكشافة لا تميل اليهما الاذواق العربية . حتى اني قلت متكلفا في قصيدة نشرتها في مجلة الكشاف العراقي :

سميت كشافا واني يصلح خلل الحياة وناشر إرشادا

ومما تفاوت به فتيان جيلنا الفتيان القدماء : الاقتصاد : فان اخبار اولئك مكتظة باسرافهم وتجاوزهم حد الاقتصاد (٢) . وكذلك في الشفقة على الحيوان

١) يتبين لك من هذا ان الدخول في هذه العصبة كان يستوجب النجاح في اعمالها وان الانتساب اليها من مكملات الرجولية عندهم وقد روى مؤلف الحوادث الجامعة في حوادث سنة ٦٣٥ ان الملك الاشرف بن العادل لما عاد عن اربل الى حران راسل الخليفة الناصر في ان يشرفه بالفتوة فنفذ اليه من فتاه بطريق الوكالة .

٢) منع الشيخ ابراهيم اليازجي « الاقتصاد » بمعناه المعروف للتداول وتابعه على ذلك

لا على الانسان وحده . والرأفة بالحيوان من جلائل الاسلام ومهماته فمن وصية الامام علي (ع) قبل وفاته « والله الله في ما ملكت ايمانكم » فانه كانت آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال : «اوصيكم بالضعيفين في ماملكت ايمانكم » قال ابن ابي الحديد في ٢ : ٤٥ من شرحه « يعني به الحيوان الناطق والحيوان الاعجم » .

هذا ما تمكنا من استقصائه على قلة علمنا وهو شيء يسير عسى ان يجد فيه القارئ لذة علمية ادبية وما كل حديث يعاب .

بغداد مصطفى جواد

جعفر باشا العسكري

اطلعتنا انباء لندن ان كتيبة دورست دعت جعفر باشا الى وليمة الائتلاف التي اقامتها في ليلة ٢٧ شباط . وكتيبة دورست هي التي أسرت جعفر باشا في موقعة فرقة الفرسان التي حدثت في طرابلس وكان جعفر باشا العسكري ضابطا عراقيا في الجيش التركي في اوائل الحرب الكبرى وكان يقود السنوسيين في الهجوم بهم على مصر . فاسر في تلك الواقعة واعتقل في القلعة بمصر . ولكنه حاول الفرار من معتقله اذ فتل حبلا من البطانية التي اعطيها ليلتحف بها وحاول ان ينزل بهذا الحبل من سور القلعة فانقطع به وسقط في الخندق فاصيب بكسر في ساقه فقد نقل الى المستشفى وهناك قرأ في الصحف اخبار الثورة العربية وائتلاف الاتراك اصدقاء العرب فقرر في الحال عدوله عن اخلاصه لحكومة تركية والتحق بمعسكر الامير فيصل (جلالة ملكنا اليوم) واسندت اليه القيادة العامة لجيوش الامير فاظهر كفاية تامة في القيادة . وهو الضابط الوحيد الذي نال وسام الصليب الحديدي من حكومة المانية ووسام سي . أم . جي . من بريطانية في اثناء الحرب العظمى . وجعفر باشا دخل مؤخرا امتحان مدرسة الحقوق [في لندن] فادى هذا الامتحان بتفوق عظيم .

لسعد داغر في التذكرة وغيره واستصوبوا « التوفير » مع انه يكون بالبخل ايضا فالاقتصاد الطف واشرف ، قال يزيد المهلبي في المتوكل :

قد كنت اسرف في مالي وتخلف لي فعلمتني الليـالي كيف اقتصد